مكتب الدراسات والتحقيق

أين نحن من أخلاق السلف

عبد العزيز بن ناصر الجليل
بهاء الدين بن فالح عقيل

دار طيبة للنشر والتوزيع

٢٫٢١٢
٨٤٦ ج

الجليل، عبدالعزيز ناصر
أين نحن من أخلاق السلف/ عبدالعزيز ناصر الجليل، بهاء الدين عقيل.- ط ٢.- الرياض: دار طيبة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٤٤ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ٨ - ٦ - ٩٠٠٥ - ٩٩٦٠
١- الأخلاق الإسلامية. ٢- الإسلام - تراجم.
أ- عقيل، بهاء الدين، م. مشارك. ب- العنوان.

ردمك ٨-٦-٩٠٠٥-٩٩٦٠
رقم الإيداع ١٤/٠٢٨٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الثامنة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض - السويدي - ش. السويدي العام - غرب النفق
ص. ب ٧٦١٢ الرمز البريدي ١١٤٧٢ هاتف ٤٢٥٣٧٣٧ فاكس ٤٢٥٨٢٧٧
WWW. Dartaiba.Com - E. mail: Taiba @ Dartaiba. Com

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

□ مقدمة الطبعة الثانية □

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فلم يكد يمضي شهر واحد على صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب حتى نفدت بكاملها، وطُلب منا إصدار طبعة ثانية، فكان لذلك وقع طيب في نفوسنا أن نال الكتاب إعجاب القراء، كما تأكدت لدينا حاجة الصحوة الإسلامية وإقبالها على الأعمال التي ترشد إلى هدي السلف وأحوالهم. ولذا فإننا نعد القراء بمزيد عناية بهذه الأعمال، وإصدارات جديدة في هذا الباب قريبًا إن شاء اللَّه تعالى.

هذا، ولقد حرصنا على ألا تصدر هذه الطبعة الجديدة إلا بعد مراجعة للطبعة الأولى قمنا فيها بتصويب الأخطاء المطبعية، واستدراك ما فاتنا من توضيح لمعاني بعض الكلمات.

نسأل اللّه الإخلاص في العمل وحسن القبول، وله الحمد في الأولى والآخرة.

مكتب الدراسات والتحقيق بدار طيبة

بهاء الدين عقيل

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

□ المقَدّمَة □

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإنه لم يعد خافيًا على كل مسلم يريد لنفسه النجاة في الدنيا والآخرة أن التزام كتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح هو سفينة النجاة لمن يريد لنفسه النجاة. كما لم يعد خافيًا أيضًا على طالب العلم المريد للحق أن مصطلح (السلف الصالح) يقصد به القرون المفضلة بقيادة الرسول ﷺ ومن بعده صحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان. ولكن هناك أمر مهم في منهج السلف الصالح لم يأخذ حقه من العناية به والتربية عليه ـ مع القناعة التامة بأهميته وأنه أساس في منهجهم ـ ذلكم هو ما يتعلق بأخلاقهم وسلوكهم؛ فمن المعلوم أننا عندما نتحدث عن منهج السلف ـ رحمهم اللَّه ـ لا نعني بذلك علمًا في الذهن المجرد، وإنما يشمل منهجهم: العقيدة، والتصور، والسلوك، والأخلاق.

وإن المتأمل في حياتنا معشر أهل السنة ـ في هذه العصور المتأخرة ـ يلاحظ بونًا شاسعاً، وانفصالاً كبيراً ـ ما بين مكثر ومقل في ذلك ـ بين الجانب العلمي النظري والجانب السلوكي الأخلاقي؛ حيث أصبح من المعتاد أن يرى الإنسان أحيانًا من نفسه أو من بعض إخوانه من الدعاة بعداً في الجانب الخلقي عن أخلاق السلف وسلوكهم. فمن اللازم إذن عند طرح منهج السلف

والدعوة إليه أن يطرح شاملاً لمعتقدهم وفقههم، ولسلوكهم وأخلاقهم؛ فكما أنه لا يقبل من أحد أن يلتزم بأخلاق السلف ويترك معتقدهم، فكذلك لا يسوغ فهم معتقدهم دون الالتزام بسلوكهم وأخلاقهم. ولو أننا رجعنا إلى سيرة سلفنا الصالح لوجدناها خير مثال لهذا المنهج المتكامل. فإذا ما تم لنا إدراك هذا الأمر والالتزام به سوف تختفي من حياتنا ـ بإذن اللَّه تعالى ـ تلك الصور والمواقف المتناقضة؛ نعم، سوف لن نجد شخصاً على عقيدة السلف في توحيد الألوهية، والأسماء والصفات، ومحاربة البدع، ثم هو في نفس الوقت يخالف سلوكهم باقترافه للظلم والكذب والغيبة والحقد والشحناء واتباع الأهواء.

وبعبارة أخرى فإن تطبيق هذا المنهج كاملاً كفيل بإزالة هذه الازدواجية التي نعاني شيئًا منها حالياً.

ومما يؤيد أهمية الجانب الأخلاقي في منهج السلف تضمين علمائهم هذه الجوانب فيما كتبوه من أصول أهل السنة والجماعة كالعقيدة الواسطية، والطحاوية وغيرها، ومن أمثلة ذلك قول الإمام الصابوني في تقريره لعقيدة السلف: «ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام على اختلاف الحالات، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والسعي في الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، واتقاء شر عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر»[1].

وكذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بعد تقريره لمعتقد أهل السنة والجماعة في العقيدة الواسطية: «ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف،

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت٤٤٩هـ) تحقيق نبيل بن سابق السبكي ص٨٦ طبعة مؤسسة البشائر العالمية للتجارة والتوزيع ـ الرياض ط١٤١٣هـ.

وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج، والجهاد، والجمع، والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أو فجارًا، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً**»[1] وشبك بين أصابعه، وقوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**»[2]، ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقاً**»[3]، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر، والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها»[4]. فهذا يعني أن منهج السلف يشمل كلا الجانبين: العقدي، والأخلاقي، وبقدر ما يحصل من النقص في أحدهما يكون النقص في الالتزام بهذا المنهج العظيم.

ولقد وفق اللَّه سبحانه لاستقراء بعض أحوال السلف، وأخلاقهم؛

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في الصلاة ـ ٨٨ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ح٤٨١ (فتح ١/ ٦٧٤) بلفظ مقارب. ومسلم في البر والصلة والآداب ـ ١٧ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ح٢٥٨٥ (٤/ ١٩٩) بنحوه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأدب ـ ٢٧ باب رحمة الناس والبهائم ح٦٠١١ (فتح ١٠/ ٤٥٢) بمعناه. وأخرجه مسلم بلفظ مقارب في البر والصلة والآداب ـ ١٧ باب تراحم المؤمنين . . . ح ٢٥٨٦ (٤/ ١٩٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة ـ ١٦ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ح ٤٦٨٢ (٥/ ٦٠). وأخرجه الترمذي في الرضاع ـ ١١ باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ح ١١٦٢ (٤/ ١٣٥). وصححه الألباني (صحيح أبي داود ٣/ ٨٨٦ رقم ٣٩١٦).

(٤) شرح العقيدة الواسطية ص ١٥٥، ١٥٦ طبعة إدارة إحياء السنة ـ كوجرانوالة ـ باكستان.

وذلك فيما كتبه الإمام الذهبي في كتابه الجامع (سير أعلام النبلاء)، وما كتبه ابن الجوزي في (صفة الصفوة) ـ وهو مختصر لحلية الأولياء لأبي نعيم ـ ورأينا من المفيد إخراج هذه الجوانب في كتاب لطيف الحجم سهل التناول يطَّلع المرء من خلاله على هذه الأخلاق السامقة ليحتذي حذوها ويتأسى بها. وقد اقتصرنا على جمع هذه الآثار وترتيبها في فقرات متناسقة دون تعليق منا عليها، فهي تنطق بما فيها، ولم يكن منا إلا وضع عناوين الفقرات، وتوضيح معاني بعض الكلمات وتخريج الآيات والأحاديث بالهامش، وكذا عزو هذه الآثار إلى مكانها في (السير) أو (صفة الصفوة).

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذا المجموع هو اختيارات وقطوف من سير السلف لم تجمع على وجه الاستيعاب والحصر؛ وأنَّى لنا في هذا الكتاب أن نجمع ما يحقق مرادنا من النصح، وسيرتهم كلها ناطقة بذلك. والسعيد من دله يسير الكلام على حقيقة منهج أصحاب سيد الأنام ﷺ.

هذا، وقد تم ترتيب هذه الفقرات على النحو التالي:

١- السلف والإخلاص والصدق.
٢- السلف والخشية والمراقبة للَّه.
٣- السلف وكراهيتهم للشهرة.
٤- السلف والخوف من العجب.
٥- السلف والزهد في الدنيا.
٦- السلف والزهد في الرئاسة.
٧- السلف والفقه في الدين.
٨- السلف وانقيادهم للحق.
٩- السلف والفتيا.
١٠- السلف والقرآن الكريم.
١١- السلف وفقه الاجتهاد في العبادة.
١٢- السلف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣- السلف والجهاد في سبيل اللَّه.
١٤- السلف والصبر على المصائب.
١٥- السلف والفتن في الدين.
١٦- السلف والفتن بين المسلمين.
١٧- السلف وفتنة السلاطين.
١٨- السلف وفتنة النساء.
١٩- السلف والبر بالأمهات.
٢٠- السلف والبر بالأصدقاء وحسن الصحبة
٢١- السلف وحقوق الخلق.
٢٢- السلف والتعامل مع الأخطاء.
٢٣- السلف والأدب مع العلماء.
٢٤- السلف وآداب الكلام واللسان.
٢٥- السلف وحفظ الوقت.
٢٦- السلف والاعتدال في الضحك والمزاح.

نسأل اللَّه أن ينفع بها من جمعها ومن رتبها ومن قرأها واستمع إليها إنه سميع مجيب.

وقبل أن نضع القلم في هذه المقدمة ونترككم للنهل من معين سير الأئمة المصلحين ننوه إلى أن هذه الفقرات المجموعة هي جزء من مشروع كبير نعتزم فيه جمع نصوص الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين فيما يتعلق بمنهج الإصلاح والتغيير، و ترتيب كل ذلك في فصول وأبواب متناسقة.

نسأل اللَّه التوفيق والسداد وأن يتمم لنا هذا الأمر بخير، ويعم بنفعه الدعاة والمصلحين وسائر المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

مكتب التحقيق بدار طيبة للنشر والتوزيع

عبد العزيز بن ناصر الجليل
بهاء الدين عقيل

□ ١ - السلف والإخلاص والصدق □

● **عن** بكر بن ماعز قال: ما رُئيَ الربيع متطوعًا في مسجد قومه قطّ إلا مرة واحدة[١] .

● **وعن** سفيان قال: أخبرتني مُرّيّة الربيع بن خُثَيم قالت: كان عمل الربيع كلُّه سرًا؛ إن كان لَيجيءُ الرجل وقد نَشَرَ المصحف فيغطيه بثوبه[٢] .

● **وعن** منذر، عن الربيع بن خُثَيم قال: كلُّ ما لا يُبتغَى به وجْهُ اللَّه عزَّ وجل يضمحلّ[٣] .

● **وعن** أبي حمزة الثُّمالي قال: كان علي بن الحسين يحمل جرابَ الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به. ويقول: «**إن صدقة السرّ تطفىء غضَب الربّ عز وجل**»[٤] .

● **وعن** عَمرو بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين فغَسَّلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سُود في ظَهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرُبَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة[٥] .

● **وعن** ابن عائشة قال: قال أبي: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فَقَدْنا صدقة السرّ حتى مات علي بن الحسين[٦] .

---

(١) صفة الصفوة: ٣/ ٦١ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) صفة الصفوة: ٢/ ٩٦ . وقوله: «إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل» حديث مرفوع إلى النبي ﷺ من طرق كثيرة لا تخلو أسانيدها من مقال، ولكن صححه الألباني بمجموع طرقه: السلسلة الصحيحة: ١٩٠٨ .

(٥) صفة الصفوة: ٢/ ٩٦ .

(٦) المصدر السابق نفسه .

• **وعن** محمد بن مالك بن ضيغم قال: حدثني مولانا أبو أيوب قال: قال لي أبو مالك يومًا: يا أبا أيوب احذر نفسك على نفسك، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي، وأيْم اللَّه لئن لم تأت الآخرةُ المؤمنَ بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران: همّ الدنيا وشقاء الآخرة. قال قلت: بأبي أنت وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو ينصَب[1] للَّه في دار الدنيا ويدأب؟ قال: يا أبا أيوب فكيف بالقبول وكيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يَرى أنه قد أصلح شأنه، قد أصلح قُربانه، قد أصلح همّته، قد أصلح عملَه، يُجمع ذلك يوم القيامة ثم يُضرب به وجهه[2].

• **وقال** الذهبي: حدثنا أحمد، حدثنا حماد، عن أيوب قال: أدركت الناس هاهنا وكلامهم: إن قضي وإن قدِّر. وكان يقول: ليتَّق اللَّه رجلٌ. فإن زهد، فلا يَجْعَلَنَّ زُهدَه عذابًا على الناس، فَلأنْ يُخفي الرجلُ زهدَهُ خيرٌ من أن يُعلنَه[3].

• **وعن** جعفر بن برقان قال: بلغني عن يونس بن عبيد فضْلٌ وصلاحٌ فكتبت إليه: يا أخي بلغني عنك فضْل وصلاح فأحببت أن أكتب إليك، فاكتب إليّ بما أنت عليه، فكتَب إليّ: أتاني كتابك تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه، وأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحبّ للناس ما تحبّ لها وأن تكره لهم ما تكره لها فإذا هي من ذلك بعيد، ثم عرضت عليها كرّة أخرى ترْك ذكْرهم إلا من خير فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحرّ بالهواجر بالبصرة أيْسر عليها من ترْك ذكْرهم، هذا أمري يا أخي والسلام[4].

• **وقال** محمد بن المثنى: حدثنا عبد اللَّه بن سنَان قال: كنتُ مع ابن

---

(١) ينصب: يتعب.

(٢) صفة الصفوة: ٣/ ٣٦٠.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٩.

(٤) صفة الصفوة: ٣/ ٣٠٣.

المبارك ومُعتمر بن سليمان بطَرَسُوس، فصاح الناسُ: النفير، فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطفَّ الجمعان، خرج رومي، فطلب البراز، فخرج إليه رجلٌ، فشدَّ العلْجُ[1] عليه فقتله، حتى قتل ستةً من المسلمَين، وجعل يَتَبَخْتَرُ بينَ الصَّفين يطلب المبارزة، ولا يخرجُ إليه أحد، فالتفتَ إليَّ ابن المبارك، فقال: يا فلان، إن قُتلتُ فافعل كذا وكذا، ثم حرَّكَ دابته، وبرز للعلْج، فعالج معه ساعة، فقتَلَ العلْجَ، وطلب المبارزة، فبرز له علج آخر فقتَله حتى قتل ستة عُلوج، وطال البرَاز، فكأنهم كاعوا[2] عنه، فضرب دابته، وطرد بين الصفين، ثم غاب، فلم نَشعر بشيء، وإذا أنا به في الموضع الذي كان، فقال لي: يا عبد اللَّه لئن حدَّثت بهذا أحداً، وأنا حيٌّ، فذكر كلمة[3].

● **وعن** أحمد بن إسحاق: أخبرنا الفتح بن عبد السلام، أخبرنا محمد ابن عمر، وأبو غالب محمد بن علي، ومحمد بن أحمد الطَّرَائفيّ قالوا: أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد، أنبأنا الفَضْل عُبيد اللَّه بن عبد الرحمن، حدثنا جعفر بن محمد، حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي، حدثنا بقية، حدثني صفوان بن عمرو، حدثني سُليم بن عامر، حدثني جُبَيْر بن نُفَيْر، أنه سمع أبا الدرداء، وهو في آخر صلاته، وقد فرغ من التشهد، يتعوَّذ باللَّه من النفاق، فأكثر التعوّذ منه، فقال جُبَيْر: وما لَكَ يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟! فقال: دَعْنا عَنْكَ، دعنا عنك. فواللَّه إنَّ الرجل ليُقْلَبُ عَنْ دينه في السَّاعة الوَاحدة فيُخلَع منه[4].

● **وعن** الفرْيابي: حدثني أبو بكر سعيد بن يعقوب الطَّالقاني، حدثنا عبد اللَّه بن المبارك، عن الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، أن عبد اللَّه بن عمرو لما

---

(١) العلج: الرجل من كفار العجم.

(٢) كاعوا: جبنوا. والكاعي: المنهزم.

(٣) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٣٨٣ وقال الذهبي: إسناده صحيح.

حضرته الوفاة قال: انظروا فلانًا لرجل من قريش، فإني كنت قلت له في ابنتي قولاً كشبيه العدة، وما أحبُّ أن ألقى اللَّه تعالى بثُلُث النفاق، وأُشْهدكم أني قد زوجته[1].

● **وعن** موسى بن المعلَّى قال: قال حذيفة: يا موسى، ثلاث خصَال إن كُنّ فيك لم ينزل من السماء خيرٌ إلا كان لك فيه نصيب: يكون عَملك للَّه عز وجل، وتحبّ للناس ما تحب لنفسك، وهذه الكِسْرةُ[2] تَحرَّ فيها ما قَدرت[3].

● **وروي** أن قاصًا كان بقرب محمد بن واسع، فقال: مالي أرى القلوب لا تخشعُ، والعيون لا تدمعُ، والجلود لا تقشعرُّ؟ فقال: محمد: يا فلان ما أرَى القومَ أتُوا إلا من قِبَلك؛ إن الذِّكر إذا خرج من القلب وقع على القلب[4].

● **وعن** عبد الصمد بن عبد الوارث: حدثنا محمد بن ذَكْوان، حدثنا خالد بن صفوان، قال: لقيتُ مَسْلَمة بن عبد الملك فقال: يا خالد، أخبرني عن حَسَن أهل البصرة؟ قلتُ: أصلحكَ اللَّه، أخْبرُك عنه بعلْم، أنا جارُه إلى جنْبه، وجليسُه في مجلسه، وأعلم مَنْ قبَلي به: أشبهُ الناس سريرةً بعلانية، وأشبهُهُ قوْلاً بفعل، إن قعدَ على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترَكَ الناس له، رأيتُه مستغنيًا عن الناس، ورأيتُ الناس محتاجين إليه، قال: حَسْبُك، كيف يضلُّ قومٌ هذا فيهم[5].

● **وقال** عون بن عُمَارة: سمعتُ هشامًا الدَّسْتُوائي يقول: واللَّه ما

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٣٩٦.

(٢) يريد بالكسرة: الطعام؛ أي فليكن طعامك حلالاً.

(٣) صفة الصفوة: ٤/ ٢٦٩.

(٤) سير أعلام النبلاء: ٦/ ١٢٢.

(٥) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٧٦.

أستطيع أن أقول: إنيْ ذهبْتُ يومًا قطُّ أطلبُ الحديث أريدُ به وجهَ اللَّه عز وجل.

قلتُ ـ [أي الذهبي] ـ: واللَّه ولا أنا؛ فقد كان السلف يطلبون العلم للَّه فَنَبُلوا وصاروا أئمة يُقتدى بهم، وطلبه قومٌ منهم أولاً لا للَّه، وحصَّلُوه، ثم استقاموا، وحاسبوا أنفسهم فجرَّهم العلمُ إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مُجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نيَّة، ثم رزق اللَّه النية بعدُ، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير اللَّه، فأبى أن يكونَ إلا للَّه، فهذا أيضًا حسن. ثم نشروه بنيَّة صالحة.

وقوم طلبوا بنيَّة فاسدة لأجل الدُّنيا، وليُثْنَى عليهم، فلهم ما نووا، قال عليه السلام: «**مَنْ غَزا ينْوي عِقالاً فلَهُ ما نوَى**»[1]. وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وَقعٌ في النُّفُوس، ولا لعلمهم كبيرُ نتيجة من العمل، وإنما العالمُ مَنْ يخشَى اللَّه تعالى.

وقوم نالوا العلم، ووَلُوا به المناصبَ فظلموا، وتركوا التقيُّد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبّاً لهم، فما هؤلاء بعلماء!.

وبعضهم لم يتّق اللَّه في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرُّخَص، وروى الشَّاذَّ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على اللَّه، ووضع الأحاديث، فهَتَكه اللَّه، وذهب علمُه، وصار زاده إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رَوَوا من العلم شيئًا كبيرًا، وتضلَّعوا منه في الجملة، فخَلَف من بعدهم خلْفٌ بَانَ نقصُهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظَّاهر، ولم يُتقنُوا منه سوى نزْر يسير، أوْهَمُوا به أنهم علماء فضلاء، ولم يَدُر في أذهانهم قطّ أنهم يتقرّبون به إلى اللَّه، لأنهم ما رأوا شيخًا يُقتدى به في العلم، فصاروا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٥/ ٣١٥ والدارمي: ٢/ ٦٥٤ والنسائي: ٦/ ٢٤ من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا بلفظ: «من غزا في سبيل اللَّه ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى».

هممجًا رَعاعاً، غايةُ المدرِّس منهم أن يُحصِّل كتبًا مثَمَّنة يخْزُنُها وينظُر فيها يومًا ما، فيصحِّف ما يُورده ولا يقَرِّره. فنسأل اللَّه النَّجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالمٌ ولا رأيت عالـمًا [1].

● **وعن** محمد بن عيسى قال: كان عبد اللَّه المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، قال: فقدم عبد اللَّه الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً فخرج في النفير، فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرقة سأل عن الشاب فقالوا: إنه محبوس لدَيْن ركبه، فقال عبد اللَّه: وكم مبلغ دَيْنه؟ قالوا: عشرة آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دُلّ على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلّفه أن لا يخبر أحدًا مادام عبد اللَّه حيّاً. وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس.

وأَدلج عبد اللَّه وأُخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد اللَّه بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك، وقد خرج. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مَرْحلتين أو ثلاث من الرَّقّة، فقال: يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بدَيْن. قال: وكيف كان سبب خَلاصك؟ قال: جاء رجل وقضى دَيْني ولم أعلم به حتى أُخرجت من الحبس. فقال له عبد اللَّه: يا فتى احْمَد اللَّه على ما وفَّق لك من قضاء دَيْنك. فلم يخبر ذلك الرجل أحدًا إلاَّ بعد موت عبد اللَّه [2].

● **وعن** أبي جعفر الحذّاء قال: سمعت ابن عيينة يقول: إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجَوْر [3].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٧/ ١٥٢، ١٥٣.

(٢) صفة الصفوة: ٤/ ١٤١، ١٤٢.

(٣) صفة الصفوة: ٢/ ٢٣٤.

• **وعن** عبد اللَّه بن مبارك قال: قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلَّموا لعزّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلَب الدنيا ورضا الخَلْق[1].

• **وقال** النضرُ بن شُميل: غلا الخز في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة، وكان يونس بن عُبيد خزازاً فعلم بذلك فاشترى من رجل متاعًا بثلاثين ألفًا. فلما كان بعد ذلك، قال لصاحبه: هل كنتَ علمت أن المتاع غلا بأرض كذا وكذا؟ قال: لا، ولو علمت لم أبع. قال: هَلُمَّ إليَّ مالي، وخذ مالك، فرد عليه الثلاثين الألف[2].

• **ورُوي** عن بشر أنه قيل له: ألا تُحدِّثُ؟ قال: أنا أشتهي أن أُحدِّث، وإذا اشتهيتُ شيئاً، تركتُه[3].

• **وعن** الفضيل بن عياض: يا مسكين، أنت مسيءٌ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخلُ وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلُكَ قصير، وأملُك طويل.

• **قلت** ـ [القائل هو الذهبي] ـ: أي واللَّه، صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلومٌ، وآكل للحرام وترى أنك متورِّع، وفاسق وتعتقدُ أنك عَدْلٌ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبُه للَّه[4].

• **وقال** يوسفُ بنُ أحمد الشيرازيُّ في «أربعين البلدان» له: لما رحلتُ إلى شيخنا رحْلة الدنيا ومُسند العصر أبي الوقت، قدَّر اللَّه لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان، فسلمتُ عليه، وقبلتُه، وجلستُ بين يديه، فقال لي: ما

---

(١) صفة الصفوة: ٤/ ١٢٢.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٩٣.
(٣) سير أعلام النبلاء: ١٠/ ٤٧٠.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٨/ ٤٤٠.

أقدمك هذه البلاد؟ قلتُ: كان قصدي إليك، ومُعوَّلي بعد اللَّه عليك، وقد كتبتُ ما وقع إليَّ من حديثك بقلمي، وسعيتُ إليك بقدمي، لأدرك بركة أنفاسك، وأحظى بعُلوِّ إسنادك. فقال: وفقك اللَّه وإيّانا لمرضاته، وجعل سعيْنا له، وقصْدنا إليه، لو كنتَ عرفْتني حقَّ معرفتي، لما سلَّمتَ عليَّ، ولا جلستَ بين يديَّ، ثم بكى بُكاءً طويلاً، وأبكى من حضره. ثم قال: اللَّهم استُرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنَّا، يا ولدي، تعلمُ أني رحلتُ أيضًا لسماع «الصحيح» ماشيًا مع والدي من هَرَاة إلى الداوودي ببُوشَنْج ولي دون عشر سنين، فكان والدي يضعُ على يديَّ حجَرَين، ويقول: احملْهما. فكنتُ من خوفه أحفظُهما بيديَّ، وأمشي وهو يتأمَّلُني، فإذا رآني قد عييتُ أمرني أن أُلقي حجرًا واحدًا، فأُلقي، ويَخفُّ عني، فأمشي إلى أن يتبيَّن له تعبي، فيقول لي: هل عييتَ؟ فأخافُه، وأقول: لا. فيقول: لمَ تُقصِّر في المشي؟ فأسرعُ بين يديه ساعة، ثم أعجزُ، فيأخذ الآخر فيُلقيه، فأمشي حتى أعطَبَ، فحينئذ كان يأخذني ويحملُني، وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرَهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفل نُركبُه وإياك إلى بُوشَنْج، فيقول: معاذ اللَّه أن نركب في طلب أحاديث رسول اللَّه ﷺ، بل نمشي، وإذا عجز أركبتُه على رأسي إجلالاً لحديث رسول اللَّه ورجاءَ ثوابه، ولم يبق من أقراني أحدٌ سواي، حتى صارت الوفودُ ترحلُ إليَّ من الأمصار. ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهَرَويِّ أن يُقدِّم لي حَلْواء، فقلت: يا سيِّدي، قراءتي لجُزء أبي الجَهْم أحبَّ إليَّ من أكل الحلواء. فتبسَّم، وقال: إذا دخل الطعامُ خرج الكلام. وقدّم لنا صحنًا فيه حَلْوَاء الفانيذ، فأكلنا، وأخرجتُ الجزء، وسألتُه إحضارَ الأصل، فأحضره، وقال: لا تخف ولا تحرص، فإني قد قبرتُ ممن سمع عليَّ خلقًا كثيرًا، فسل اللَّه السلامة. فقرأتُ الجُزء، وسُررتُ به، ويسَّر اللَّه سماعَ «الصحيح» وغيرَه مرارًا، ولم أزل في صُحبته وخدمته إلى أن تُوفي ببغداد في ليلة الثلاثاء من ذي الحجة[1].

(١) سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٣٠٧، ٣٠٨.

□ ٢- السلف وخشيتهم من اللَّه ومراقبتهم له □

● **عن** ابن مسعود أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممرِّ الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموتُ يأتي بغتة، من زرع خيراً يُوشكُ أن يَحصُدَ رغبة، ومن زرع شراً يُوشكُ أن يحصد ندامةً، ولكل زارع مثلُ ما زرع، ولا يُسبقُ بطيءٌ بحظه، ولا يُدركُ حريص ما لم يُقدَّرْ له، فمن أُعطيَ خيراً، فاللَّه أعطاه، ومن وُقي شراً، فاللَّه وقاه، المتقون سادة، والفقهاءُ قادة، ومجالستهم زيادة[١].

● **وعن** الفَسَوي: حدثنا أبو اليمان، عن حريز بن عثمان، عن أبي الحسن عمْران بن نمْران، أن أبا عبيدة كان يسيرُ في العسكر فيقول: ألا رُبَّ مُبيِّض لثيابه، مُدَنِّس لدينه! ألا رُبَّ مكرم لنفسه وهو لها مُهين! بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات[٢].

● **وعن** ابن شوذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: بُعد المفازة وقلة الزاد وعَقبة كؤودٌ، المهبطُ منها إلى الجنة أو النار[٣].

● **وعن** عبيد اللَّه بن السريّ قال: قال ابن سيرين: إني لأعرف الذنْب الذي حُمل به عليّ الدَّيْنُ ما هو؛ قلت لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس. فحدثت به أبا سليمان الدّاراني، فقال: قلَّتْ ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتَوْن، وكثرت ذنوبي وذنوبك فليس ندري من أين نُؤتَى؟[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/ ٤٩٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١/ ١٨.

(٣) صفة الصفوة: ١/ ٦٩٤.

(٤) صفة الصفوة: ٣/ ٢٤٦.

● **وعن** عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثني عمّي يزيد ابن يزيد بن جابر، عن عطاء الخراساني أنه كان يقول: إني لا أوصيكم بدنياكم، أنتم بها مستَوْصَوْن، وأنتم عليها حراص، وإنما أوصيكم بآخرتكم؛ فخذوا من دار الفناء لدار البقاء، واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه، فواللَّه لتفارقُنَّها، واجعلوا الموت كشيء ذُقْتموه، فواللَّه لتذوقُنَّه، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه، فواللَّه لَتنزلُنّها، وهي دار الناس كلهم؛ ليس من الناس أحدٌ يخرج لسفر إلا أخذ له أُهبتَه، فمن أخذ لسفره الذي يُصلحه اغتَبط، ومن خرج إلى سفر لم يأخذ له أُهبته ندم فإذا ضَحيَ لم يجد ظلاً، وإذا ظمىءَ لم يجد ماءً يتروّى به، وإنما سفَر الدنيا منقطع، وأكْيس الناس من قام يتجهّز لسفر لا ينقطع[1].

● **وعن** قَبيصة بن قيس العَنْبري قال: كان الضحاك بن مُزَاحم إذا أمسَى بكَى فيُقال له: ما يُبكيك؟ فيقول: لا أدري ما صَعَد اليوم من عملي[2].

● **وعن** كنانة بن جبلة السلمي قال: قال بكر بن عبد اللَّه: إذا رأيت مَن هو أكبر منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقتُه إلى الذنوب والمعاصي فهوخير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظّمونك فقل: هذا فضلٌ أخذوا به، وإذا رأيتَ منهم تقصيراً فقل: هذا ذنْب أحدثتُه[3].

● **وعن** القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي: بأيّ شيء فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنَّا لنصلي، ولئن كان يصوم إنَّا لنصوم، وإن كان يغزُو فإنَّا نغزو، وإن كان يحجّ إنَّا لنحجُّ.

---

(١) صفة الصفوة: ٤/ ١٥١.

(٢) صفة الصفوة: ٤/ ١٥٠.

(٣) صفة الصفوة: ٣/ ٢٤٨.

قال فكنَّا في بعض مَسيرنا في طريق الشام ليلةً نتعشَّى في بيت إذ طفىء السراجُ فقام بعضنا فأخذ السراج [وخرج يستصبح[1] فمكث هنيهة ثم جاءَ بالسراج] فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلَّت من الدموع، فقلت في نفسي: بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا، ولعله حين فَقَد السراج فصار إلى الظُّلمة ذكَر القيامة[2].

• **وروي** عن المرُّوذي، قال: قلتُ لأحمد: كيف أصبحتَ؟ قال: كيف أصبح مَن ربُّه يطالبُه بأداء الفرائض، ونبيُّه يُطالبه بأداء السُّنَّة، والمَلَكان يُطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تُطالبه بهواها، وإبليسُ يُطالبه بالفحشاء، ومَلَكُ المَوْت يُراقب قبضَ روحه، وعياله يُطالبونه بالنفقة؟![3].

• **وقال** ابن خُبيق: قال لي حذيفة المرعشي: إنما هي أربعة، عيناك، ولسانك، وهَوَاك، وقلبك. فانظر عَيْنيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحلّ لك، وانظُر لسانك لا تقُل به شيئًا يعلم اللَّه خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكُن فيه غلّ ولا دغل على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوى شيئًا، فما لم تكن فيك هذه الأربع الخصال فالرّماد على رأسك[4].

• **وحكى** القاضي حسين عن القفّال أستاذه أنه كان في كثير من الأوقات يقعُ عليه البكاءُ حالة الدرس، ثم يرفع رأسَه ويقول: ما أغفلَنا عما يُرادُ بنا[5].

• **وعن** مخولٍ قال: جاءني بهيم العجلي يومًا فقال لي: تعلم لي رجلاً من جيرانك أو إخوانك يريد الحج تَرضاه يُرافقني؟ قلت: نعم. فذهبت إلى

---

(١) خرج يستصبح: أي يبحث عما يوقد به المصباح.

(٢) صفة الصفوة: ٤/ ١٤٥.

(٣) سير أعلام النبلاء: ١١/ ٢٢٧.

(٤) صفة الصفوة: ٤/ ٢٦٨.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٤٠٧.

رجل من الحيّ له صلاح ودين فجمعت بينهما وتواطَيا[1] على المرافقة. ثم انطلق بهيم إلى أهله، فلما كان بعدُ أتاني الرجل فقال: يا هذا أحب أن تزويَ عني صاحبك وتطلب رفيقًا غيري. فقلت: ويحك فَلمَ؟ فواللَّه ما أعلم في الكوفة له نظيراً في حُسن الخُلق والاحتمال، ولقد ركبت معه في البحر فلم أر إلا خيراً. قال: ويحك حُدّثت أنه طويل البكاء لا يكاد يَفتر، فهذا ينغّص علينا العيش سفَرنا كلّه. قال: قلت: ويحك إنما يكون البكاء أحيانًا عند التذكرة؛ يَرقّ القلبُ فيبكي الرجل، أو ما تبكي أنت أحيانًا؟ قال: بلى ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم جداً من كثرة بكائه. قال: قلت اصحبْه فلعلك أن تنتفع به. قال: أستخير اللَّه.

فلما كان اليوم الذي أرادا أن يخرجا فيه جيء بالإبل ووُطِّيء[2] لهما فجلس بهيم في ظل حائط فوضع يده تحت لحيته وجعلت دموعه تسيل على خدّيه، ثم على لحيته ثم على صدره حتى واللَّه رأيت دموعه على الأرض.

قال: فقال لي صاحبي: يا مُخوَّل قدابتدأ صاحبك، ليس هذا لي برفيق. قال: قلت: ارفق، لعله ذكر عياله ومفارقته إليهم فرَقّ. وسمعها بهيم فقال: يا أخي واللَّه ما هو بذاك وما هو إلا أنّي ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة. قال: وعلا صوته بالنحيب.

قال: يقول لي صاحبي: واللَّه ما هي بأول عداوتك لي وبُغضك إياي، مالي ولبهيم؟ إنما كان ينبغي أن ترافق بين بهيم وبين داود الطائي وسلام أبو[3] الأحوص، حتى يبكي بعضهم إلى بعض حتى يشتفوا أو يموتوا جميعًا.

قال: فلم أزل أرفق به وأقول: ويحك لعلّها خير سفرة سافرتها.

---

(١) تواطيا: اتفقا.

(٢) وُطِّيء لهما: مُهِّد لهما وهُيِّيء.

(٣) في صفة الصفوة: سلاَّم بن الأحوص، والصواب أبو الأحوص. انظر التقريب ترجمة ٢٧٠٣ واسمه سلام بن سليم الحنفي الكوفي ت١٧٩هـ.